

خطاب جلالة الملك

بمناسبة عيد الفطر

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

اعتدنا أن نتجه إليك في مثل هذه المناسبة، مناسبة عيد الفطر السعيد الذي ختمت به صيامك، وسوف يؤتيك الله سبحانه وتعالى أجرك وثوابك، آملين منه عز وجل أن تبقى يده مسدولة عليك، ورحمته وعطفه يشملان خطواتك ومساعيك، حتى تتمكن من إدراك أهدافك وتحقيق أمانيك وآمالك.

أطمئنك على صحتي

وقبل أن أتوجه إليك شعبي العزيز كما هي العادة، لأتطرق الى مواضيع تهمك وتهم مستقبلك، أريد قبل كل شيء أن أطمئنك نهائيا، ولله الحمد والشكر على صحتي، علما مني أنك قلقت جدا من الاشاعات التي أشيعت حولي، وحول حالتي الصحية، فإننا ولله الحمد على أحسن ما يرام، راجين من الله المزيد والتمام، حتى يمكننا أن نتابع عملنا، وحتى نتمكن من خدمتك أكثر وأكثر لاسعادك، وإحلالك المقام اللائق بك.

ولا عجب ولا غرو في أن تقلق فيما يخصنا، فإننا نتقاسم الحب، فأنت تحبني كما أحبك، وتقدرني كما أقدرك، وتحترمني كما أحترمك، وتسعى لجلب الخير إلي مثلما أفعل، كما أنك تعمل لاماطة الأذى عني، كما أفعل فيما يخصك.

وهذه ولله الحمد، رابطة أصيلة، بين ملك هذه البلاد وشعب هذه البلاد، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يديم نعمتها علينا، وعلى الأجيال المقبلة، حتى يتسنى لنا أن نسير يدا في يد، وجنبا الى جنب، نحو ما نطمح إليه، ونحو ما نرمي إليه.

التعقل والتبصر والتروي في المعركة الانتخابية

شعبي العزيز

إنك مقبل على خوض معركة الانتخابات في المستقبل القريب، وهذه المعركة تتطلب منك، كنت مصوتا، منتخَباً، أو منتخِباً، التعقل، والتبصر، والتروي.

إن التجارب الأولى التي مرت بنا لم تفشل لأنها لم تكن سليمة في أساسها، ولكن فشلت لسوء تطبيقها، ذلك أن التجربة الأولى لم تؤت الأكل الذي كنا ننتظره منها، وقد قلنا ذلك في خطابنا إذ ذاك حينما حللنا البرلمان، وقد أتيناك بالدليل على أن البرلمان لم يصوت إلا على قانون واحد، ألا وهو التعريب ومغربة القضاء.

وبعد ذلك لم تكن المباراة السياسية تجري بكيفية رياضية، ذلك أن بعض الأحزاب السياسية عن صواب أو خطإ، لا أريد هنا أن أدلي بحكمي في الموضوع، حكمت مسبقا على أن الانتخابات ستكون مزيفة، وبذلك لم تشارك في المباراة السياسية، فلم يكن الجو السياسي في البرلمان، وفي المؤسسات المنتخبة جوا يطابق الحقيقة لما يجري في البلاد.



وهكذا رغم صلاحية الدستور، ورغم جودة القوانين، أقول مرة أخرى : لم تكن التجربة الدستورية الديمقراطية مستكملة وجوه صحتها، فإذا استكملت شروط وجوبها، لم تكن مستكملة لشروط صحتها، وبالتالي، لم تعط الضوء أو الصورة اللازمة عن حاجيات المغرب، أو عن متطلبات سكانه. ومع ذلك، ورغم هذا وذاك، سار المغرب في طريقه، طريق النمو، وطريق البناء، سار المغرب في طريق التوسع الاقتصادي، واستكمال وحدة ترابه، سار المغرب بأبنائه جميعا حتى بالذين لم يريدوا أن يشاركوا في الانتخابات الثانية، حتى بهم، سار ولله الحمد جماعة واحدة، ورجلا واحدا، سار نحو إبطال الباطل، ليقف كجندي واحد أمام العدوان، سار ليقول بلسان واحد، للحساد وللأعداء وللناقمين : إن مشاكلنا الداخلية هي بيننا، فعلينا أن نحلها بيننا كما تحل المشاكل في أسرة، أما حينما يمس الجوهر، وحينما يوضع مستقبل البلاد ككيان وكوحدة في ميزان التساؤل، هل سيكون كذا؟ أو سيكون كذا؟ يجيب المغرب كرجل واحد وبلسان واحد : إن المغاربة كيفما كانت مشاربهم السياسية، ومذاهبهم الاقتصادية والاجتماعية، هم قبل كل شيء مغاربة، يدافعون عن حوزة الوطن، ويدافعون عن وحدته واستكمال ترابه.

وهذا ما جعل شعبي العزيز، عدة دول تستغرب مرة أخرى وتقول : والله إن هذا المغرب لهو من الدول التي تثير استغرابنا يوما بعد يوم، في كل مفترق طرق، أو منعطف طرق أتت في تاريخه، وأمام مسيرته.

أريد منك شعبي أن تختار من يمثلك جيدا

شعبي العزيز

التجربة التي ستقدم عليها إنك تعرفها، تعرف الانتخابات، فقد انتخبت مرارا ومرارا، إلا أنني أرجو منك قبل كل شيء في هذه التجربة ــ حتى يمكننا أن نخطط للسنة المقبلة إن شاء الله من البرامج ومن الآمال، ما نعلق عليها وما تستحق أن يعلق عليها ــ أريد منك شعبي العزيز أن تختار بفراسة المؤمن، تلك الفراسة التي لا تخطىء، أن تختار من يمثلك جيدا، وعلى المرشحين من جهة أخرى، ألا يعبثوا وألا يلعبوا بأمانة ترشيحهم لينتخبوا، فكما عليك شعبي العزيز أن تختار اللائق، فعلى المرشحين الذين لا يؤمنون بنظامنا، ولا يؤمنون بمؤسساتنا، ولا يؤمنون بالحفاظ على أصالتنا، عليهم ألا يتخذوا هذه الانتخابات مطية للوصول الى أهدافهم، عليهم أن يحترموا منتخبيهم وأن يرعوا الأمانة.

ولي اليقين، أن الله سبحانه وتعالى لن ينجح أبدا، كما أنه لم ينجح في الماضي، من أراد الكفر لهذه البلاد الاسلامية، ومن أراد الفقر لهذه البلاد الغنية، ومن أراد الاستعباد لهذه البلاد الحرة المستقلة.

يجب على المرشحين احترام الشعب وأن يكونوا جديرين بالتكلم باسمه

فإذن على الطرفين، المنتخَب والمنتخِب، أن يقدر ما هي المسؤولية التي ستلقى على عاتقه حينما ينتخب، وحينما يكون يقول : أنا أتكلم باسم مجموعة من الشعب المغربي.

وأتوجه الى المرشحين، فأقول لهم : أنني بإرادة من الله سبحانه، أتكلم باسم الشعب المغربي منذ أزيد من 15 سنة، وحينما أخاطب الناس أقول باسم شعبي، ولكن حينما أقول باسم شعبي، أعطي لهذا اللفظ مدلوله الخلقي والسياسي قبل كل شيء، أقول هذا اللفظ وأنا أحترم الذي أتكلم باسمه، وهو الشعب.



فعليكم أيها المرشحون أن تحترموا هذا الشعب، فإذا غدا انتخبكم هذا الشعب، عليكم بأعمالكم وببرامجكم، وبتعلقكم بنظام بلادكم، وبتمسككم بدينكم، وبمحافظتكم على أصالتكم، وبالدفاع عن وطنيتكم، عليكم إن قلتم نتكلم باسم جماعة من الشعب المغربي أن تكونوا جديرين بالتكلم باسم الشعب المغربي، إنه شعب فوق كل تقدير وكل اعتبار، يستوجب ألا يتكلم باسمه إلا من أتاه الله الضمير الطاهر، ورعاية الأمانة كما يجب أن تراعى الأمانة دينيا، وسياسيا، وخلقيا.

ضبط الأعصاب أثناء الحملة الانتخابية

شعبي العزيز

قبل أن تعرف نتائج انتخاباتك، وما صارت اليه من اتجاهات، ستمر بفترة تكون لك بمثابة امتحان فيما يخص أخلاقك، وهي فترة الحملة الانتخابية، ففي مدة الحملة الانتخابية، علينا جميعا أن نضبط الأعصاب وأن يكون نطقنا طاهرا، وأن نتصف بالموضوعية، علينا جميعا أن نعلم شيئا ضروريا، هو أنه كيفما كانت النسبة لهذا الحزب أو لهذا الحزب أو لهذه الهيأة، لا يمكن لهيأة واحدة أن تسيطر على الموقف، بل ستضطر إحدى هذه الهيآت يوما من الأيام، أو في ظرف من الظروف، أن تتعامل مع الأخرى، أو مع الثانية، أو مع الثالثة، إما لتكوين أغلبية في البرلمان، أو لتكوين حكومة نسميها ونعينها كما هو منصوص عليه في الدستور، باختيارنا، على أساس المصلحة العامة والفائدة، لا على أساس أي اعتبار آخر.

إذن على هؤلاء الأشخاص الذين سيتقدمون للانتخابات أن يعلموا أنهم كيفما كان الحال، ملزمون بمقاييس الدستور، مرغمون على التساكن في المستقبل، فليتجنبوا كل ما من شأنه أن يجرح العواطف، وليتجنبوا كل ما من شأنه أن يذكر في الصحف الأجنبية، وهو يضر بسمعة البلاد أو بسمعة المواطنين.

العمل على انجاح التجربة لنبني عليها مستقبل البلاد

علينا قبل كل شيء شعبي العزيز، ألا نهتم بفوز فلان أو فلان في الانتخابات، علينا شعبي العزيز أن تنجح التجربة، لأن التجربة هي تجربة الجميع، وليست تجربة حزب من الأحزاب أو فرد من الأفراد، بل هي تجربة للشعب كله، نريد أن نبني عليها مستقبل بلادنا. علما منا بأن المشاكل التي تنتظر العالم من تغذية وسكنى، وتعليم وتنمية اقتصادية، لا يمكنها أن تحل بمحض إرادة فرد واحد أو جماعة، كيفما كانت قوتها أو نباهتها، بل المشاكل التي تنتظرنا الآن، ونحن على أبوابها، هي التنمية الاقتصادية، والتنمية المالية، والترفيه الاجتماعي، والتغذية.

هذا كله، يقتضي منا أن يكون الجميع ملتفا حول ملك هذه البلاد، ليختار للبلاد ما يسعدها من برامج وطرق.

وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين

إذن، فالعملية كما أقول لك، ليست عملية حزبية أو عملية تنحصر في هيأة من الهيآت، كما أريد أن يعلم المنتخبون والمرشحون، أنهم ليسوا في مركب والحكومة في مركب، بل هم بالنسبة إلي بمثابة السيف والمجن، فحينما يحارب الفارس ويقف في ساحة الوغى، فإذا كان له مجن دون سيف، فهو هالك مما لا شك فيه، وإذا كان له سيف دون مجن، فهو هالك كذلك، فالمنتخبون من جهة، والسلطة التنفيذية من جهة أخرى، هما بمثابة السيف والمجن.



ولا يمكن لأي أحد أن يقارع الزمن أو يغزو الأحداث، ويأتمن على سلامة نفسه إذا كان في حاجة الى سيفه أو مجنه، بل لا يمكنه أن ينجح إلا إذا كان السيف والمجن في آن واحد، جاهزين عاملين قائمين بمهمتهما، أي الكر والفر، والدفاع والهجوم، الاقبال والاقدام، ولا أقول التأخر أو التأخير.

شعبي العزيز

لا أريد أن أطيل عليك في هذا الموضوع، علماً مني بأنه بلغ منك ما بلغ، وأن هذه النقاط التي أكررها عليك اليوم، قد فهمتها منذ القديم، وأنك ولله الحمد بما عرف فيك من نباهة وإدراك، قد فهمتها منذ القدم، ولكن أبيت إلا أن أذكرك بهذه المواضيع، كما قال الله تعالى في كتابه الحكيم : « وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ».

تلبية نداء قرض بناء الصحراء

ومما أتيمن به ولله الحمد، أنني دعوتك، وحينما أقول أنا متواضعا لله، حامدا إياه، دعوتك في شهر يوليوز الماضي إلى خوض معركة التنمية الاقتصادية على طريقة القرض وبواسطته، قرض الصحراء.

وإنك شعبي العزيز، مرة أخرى أفرحت المحبين، ومرة أخرى خيبت ظن الكارهين والمعادين، وهكذا شعبي العزيز أسفرت عملية الاقتراض عن أكثر من 100 مليار التي كنا طلبناها من الشعب. وإنني لا أريد هنا أن أميز طبقة دون طبقة، ولا أن ألقي الأضواء على صنف من الأصناف، حتى لا أذكي ما ينتظره منا أعداؤنا، حتى لا أذكي تلك النار التي يريدون أن يشعلوها نار الطبقية، ولكن من الانصاف أن أقول : إن الطبقة المتوسطة والمتواضعة نسبيا، أعطت اليوم مثلما أعطت في الماضي، وبرهنت أكثر من غيرها على وطنيتها وإيمانها بأن مالها وإمكاناتها ستؤتي أكلها لفائدة الجميع، لا لفائدة طبقة دون طبقة.

فتلبيتك شعبي العزيز، لندائي فيما يخص القرض، والكيفية التي سارعت بها الى إرضاء الحاجة، والى تحقيق الهدف، وقدرتك على استيعاب فلسفة القرض وفهمه على الأساس الذي يجب أن يفهم به، كل هذا يجعلني أتفاءل خيرا فيما يخص ما أنت مطالب به، ألا وهو أن تقوم بقرض آخر، وهو قرض الثقة.

وفي الحقيقة، كما أعطيت الدولة أموالك، وستردها إليك بفائدة، وستجدها مصونة غير منقوصة، فإنك ستقرض أشخاصا ثقتك، ولي اليقين بأنك ستعرف من تختار لتفرضه ثقتك، حتى يمكنه أن يرد إليك تلك الثقة، وتلك الآمال، وتلك الأماني مضمونة مصونة بفائدة.

شعبي العزيز

هذه بعض النقط التي أردت بهذه المناسبة السعيدة أن أطرحها عليك، وأن أخاطبك في شأنها.

عيد سعيد واطمئنان تام

ومرة أخرى شعبي العزيز، أرجو لك عيدا سعيدا في كل بيت من بيوتاتك، وفي كل أسرة من أسرك ولا أنسى بهذه المناسبة الشخصيات الأجنبية، من ملوك ورؤساء، وممثلي البعثات الديبلوماسية، الممثلين لدى



جلالتنا، الذين أشكرهم جميعا على تهانئهم وعلى العواطف التي أبدوها نحونا ونحو شعبنا بهذه المناسبة.

ومرة أخرى شعبي العزيز، أطمئنك الاطمئنان التام، على أن الله سبحانه وتعالى، ما زال واضعا علينا يده، وهي يد سلام ويد عافية، راجين من الله سبحانه وتعالى، أن يديم هذه العافية علينا جميعا، على أسرتي الكبيرة وأسرتي الصغيرة، وعلى كل من يخدم هذه البلاد بنزاهة وأمانة.

ومرة أخرى شعبي العزيز، أبارك لك عيدك راجيا من الله سبحانه وتعالى أن يعيده عليك وعلى ذويك، في السنين المقبلة، وعشرات السنين، والقرون المقبلة، بالخير والعافية، والنماء والازدهار والاطمئنان، إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الأحد 1 شوال 1396 — 26 شتنبر 1976.